Mesopotamian journal of Quran studies
Vol.2025, **pp**. 51–61
DOI: https://doi.org/10.58496/MJQS/2025/006; ISSN: 3005–9933
https://mesopotamian.press/journals/index.php/MJQS

Interpretative Perspectives on the Content of Selected Verses of Al-I‘tisam: A Critical Analytical Study

آراء المفسرين في مضامين بعض آيات الاعتصام -دراسة تحليلية-

Shahla’ Subeih Nassif [1,*]

[1] *Al-Karkh Study Center, Abu Ghraib Branch, Open College of Education, Open College of Education, Baghdad, Iraq.*

شهلاء صبيح نصيف [١،*]

[١] مركز الكرخ الدراسي, فرع ابي غريب, الكلية التربية المفتوحة, الكلية التربية المفتوحة, بغداد, العراق.

ABSTRACT

In this study, I address several features of divine guidance by exploring the majesty of the Qur’an as manifested through the concept of al-iʿtiṣām (holding fast to God’s path). This analysis draws upon rhetorical, grammatical, exegetical, and theological dimensions that reveal the greatness of this divine Book—one which, regrettably, many Muslims today are unfamiliar with even in terms of proper recitation, let alone understanding its profound meanings and the verses that testify to the perfection of the Creator’s design.

The term al-iʿtiṣām carries serious implications that warrant close attention, as understanding its true meaning is crucial for aligning one’s beliefs, speech, and actions with what is lawful in Islam. The concept of holding fast to God is not only significant, but essential, which led me to select the title of this study: “Exegetes’ Views on the Themes of Selected Verses on Holding Fast: An Analytical Study.”

This research aims to shed light on key lessons derived from the Qur’an as the primary source, while supporting insights are drawn from the Sunnah. In pursuit of this goal, the study seeks to answer the following questions: What are the reasons behind holding fast? How did some of the prophets (peace be upon them) exemplify iʿtiṣām? What does iʿtiṣām look like among the general public? And what are the selected images and models of iʿtiṣām that provide guidance for Muslims today.

.

الخلاصة

اتناول بهذا البحث بعضا من معالم الهداية، من خلال الوقوف على عظمة القرآن من خلال ما ورد في هذا المضمار (الاعتصام) ،من نواحي بلاغية ونحوية وتفسيرية وعقائدية ، التي تجلي لنا عظمة هذا الكتاب الذي يجهل الكثير من المسلمين اليوم النطق به على الوجه الصحيح ، فضلاً عن معرفة ما فيه من الآيات التي تدل على كمال صنع الخالق العظيم . إن مصطلح (الاعتصام) تنبني عليه أحكاماً خطيرة ينبغي الوقوف عليها ، وبيان مراد الشرع منها ، ليكون المسلم على حذر مما يوقعه في ما حرم الله تعالى من جهة القول والاعتقاد والعمل , و إن مسألة الاعتصام مسألة مهمة،ومن هنا جاء اختيار عنوان بحثي الموسوم ب(آراء المفسرين في مضامين بعض آيات الاعتصام –دراسة تحليلية–) ليجلي بعض هذه الدروس متخذاً القرآن الكريم أصلاً وباقي مصادر السنة مكملاً ؟ ولتحقيق ذلك سنجيب على الاسئلة التالية : ما اسباب الاعتصام، اعتصام بعضا من الأنبياء (عليهم السلام)، وما اعتصام عامة الناس، وماهي الصور والنماذج المختارة من الاعتصام.

Keywords
الكلمات المفتاحية
الاعتصام بالله, التفسير الموضوعي, الهداية في القرآن, بلاغة القرآن.
Al-Iʿtiṣām (Holding Fast to God), Qur’anic Exegesis, Divine Guidance, Qur’anic Rhetoric

Received	**Accepted**	**Published online**
استلام البحث	**قبول النشر**	**النشر الالكتروني**
15/03/2025	09/5/2025	10/06/2025

*Corresponding author dshhlaa@gmail.com

CC BY

١. مقدمة

الحَمدُ لله الذي أنزل القرآن العظيم عبرة لمن تدبر، ونُصلي ونسلم على من أَنذر وبشّر سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغُر الميامين .

اما بعد :

مما لاريب فيه ان الاعتصام بالله هو سبيل نجاة العبد و اخره ، فقد قال الامام ابن القيم (رحمه الله : و اما الاعتصام به فهو التوكل عليه و الامتناع به و الاحتماء به و سؤاله ان يحمي العبد و يمنعه و يعصمه و يدفع عنه فإن ثمرة الاعتصام به : هو الدفع عن العبد الله يدافع عن الذين آمنوا فيدفع عن عبده المؤمن اذا اعتصم به الشبهات و الشهوات و كيد عدوه الظاهر و الباطن و شر نفسه [١]

و الحقيقة التي نغفل عنها ان هذه الدنيا دار ابتلاء و امتحان و لذلك نجد ان الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) هم صفوة الخلق قد ابتلوا فيها و العاقل لا يغتر بنعيمها ، و يفوض اموره كلها الى الله جلا و علا ، فالله سبحانه و تعالى هو الواحد الاحد الذي بيده مقاليد السماوات و الأرض فهو وحده سبحانه قادر على رفع البلاء و قادر على دفع الضر.

١.١ أهمية البحث:

ان الاعتصام من المواضيع المهمة التي شغلت الكثيرين المهتمين بالدراسات القرآنية والتربوية حيث ان الاعتصام يعتبر من العوارض البشرية التي تطرأ على الإنسان فيغيب عن ذهنه بعض الحوادث والمعلومات دون فعل منه وإرادة، وهذا من العلامات التي تؤكد الضعف البشري والعجز الإنساني وقد يكون الاعتصام في بعض الأحيان رحمة ونعمة؛ فقد ورد في القرآن الكريم لفظ (الاعتصام) في مواضع عديدة، تارة يكون فيها موضع التمسك وتارة يكون فيها موضع الحبل فيحملون تلك الألفاظ المتكررة في مواطن عدة على معنى واحد وآيات الاعتصام في القرآن الكريم شأنها شأن آيات الذكر الحكيم التي تبين قدرته (عزوجل) على كل شيء في هذا الكون العجيب الواسع. واننا لنقرأ في آيات الاعتصام في القرآن الكريم فيتبين لنا ان لفظة(الاعتصام) وردت سواء بصيغة الفعل او المصدر في القرآن الكريم لفظ تدل على عظيم قدرة الله في خلقه لذلك اخترتها موضوع بحثي الذي وسمته ب(آراء المفسرين في مضامين آيات الاعتصام دراسة تحليلية)

٢.١ أهداف البحث

١- موقف المسلم من الاعتصام .

٢- كيف عالج القران الكريم الاعتصام .

٣- أسباب و طرق معالجة الاعتصام من خلال القران الكريم و السنة النبوية الصحيحة .

٣.١ مشكلة البحث

تركزت مشكلة البحث عن طرق وأسباب الاعتصام وكيفية معالجتها ضمن محاور التفسير الموضوعي في القرآن الكريم وكيفية الوقوف على ابرز اسبابها وطرق معالجتها وما يحمله موضوع الاعتصام من الفوائد الجمة والقيم الإسلامية العظيمة ما لا يقل اهمية عن غيره من المواضيع التي تتجه إليها الأنظار ويكثر منها الاستحضار حال الحديث موضوع الاعتصام، فان أي القرآن الكريم كلها تحمل في طياتها دروسا وقيم ومبادئ، ومن هنا جاء اختيار بحثي الموسوم ب:(آراءالمفسرين في مضامين آيات الاعتصام دراسة تحليلية) ليجلي بعض الدروس متخذا القرآن الكريم أصلا وباقي مصادر التفسير مكملا وكيف يمكننا الاستفادة من لفظة (الاعتصام) التي وردت في القرآن الكريم في مواضيع عديدة و لتحقيق ذلك نستجيب على الأسئلة التالية :ما اسباب الاعتصام، اعتصام بعضا من الأنبياء (عليهم السلام)، وما اعتصام عامة الناس، وماهي الصور والنماذج المختارة من الاعتصام فإن آي القرآن اختيار بحثي الموسوم

٤.١ الدراسات السابقة

من خلال بحثي المؤلفات السابقة في ذات الموضوع، لا بد ان اعرج على الجهود العلمية والدراسات التي في موضوع بالاعتصام فمن تلك الجهود والدراسات التي درسها الباحثون في موضوع الاعتصام جهود الأستاذ الدكتور وهبة مصطفى الزحيلي و جهود ابن منظور عبدالله علي الكبير و محمد احمد حسب و جهود الأستاذ الدكتور احمد مختار عمر .... وغيرهم كثيرون مما كان لهم باع طويل في هذا المجال .

٥.١ منهج البحث

(١)من خلال عنوان البحث يتبين لنا ان المصدر الأساسي الاول لهذا البحث هو القرآن الكريم، لهذا كثر الاستشهاد بآية، بل والتبويب بها تحت كل مطلب.

(٢) ليس من شرط البحث استقصاء جميع الآيات المشتملة على الاعتصام، لأتينا عليها كلها تفسيرا واستنباطا، ولكن استعنت ببعض الآيات التي توصل الى الهدف.

(٣)اجتهدت في اختيار الآيات الدالة مباشرة او قريبة على الاعتصام.

---

[١] مدارك السالكين ،ابن القيم - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية دار الكتاب العربي سنة النشر: ١٤١٦ / ١٩٩٦م ، ٤٦٢.

(٤)حرصت على عزو الآيات القرآنية الى مواضعها، والأحاديث النبوية والآثار الى مصادرها.

(٥) وثقت النصوص توثيقا علميا دقيقا.

(٦)اعتنيت بقواعد اللغة العربية، وعلامات الترقيم، كما هو منصوص عليه في الدليل الأكاديمي.

٦.١ هيكلية البحث

جاء البحث على مبحثين تسبقهما مقدمة تناولت فيها مشكلة البحث واهداف البحث، واهمية البحث ، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وهيكلية البحث أما المبحث الأول : فقد جاء بعنوان تعريف الاعتصام لغة واصطلاحاً وبيان ثمرات الاعتصام بحبل الله وإنها سبيل لوحدة الامة، وفيه ثلاث مطالب :

المطلب الأول : يتضمن مفهوم الاعتصام عند أهل اللغة والاصلاح، والمطلب الثاني : الاعتصام بحبل الله سبيل لوحدة الامة، والمطلب الثالث : ثمرات الاعتصام بحبل الله تعالى، و ويلات الفرقة والاختلاف و اما المبحث الثاني فقد جاء بعنوان الاعتصام بكتاب الله تعالى و بيان هدايته للناس وفيه مطلبين : الاعتصام المطلب الأول :الاعتصام بكتاب الله تعالى ، و المطلب الثاني: هداية الله للمعتصم ثم الخاتمة ذكرت فيها اهم فيها اهم النتائج و التوصيات توصل اليها البحث ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها الباحثة في بحثها وهذا ما وفقني الله اليه وما كان

من صواب فمن الله وما كان من تقصير فمن نفسي والشيطان، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

المبحث الاول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للاعتصام, وبيان الاعتصام بحبل الله سبيل لوحدة الامة, وفيه ثلاث مطالب.

٢. تمهيد

ان وحدة الأمة الإسلامية تكمن في اعتصامها فإن هذا الاعتصام اصل أصيل في شريعتنا الإسلامية، تضافرت عليه الادلة الشرعية والحجج العقلية. ولنا في قصة يونس عليه السلام الذي ابتلعه الحوت في في ظلمات البحر خير عبرة وعظة، فحين انقطعت به الآمال، وعدمت وسائل النجاة، لم يجدإلاالاعتصام بحبل الله تعالى منجاة له، ومخرج المابه، { فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } [١] فكانت النتيجة { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ}[٢]

فأخرجه الله تعالى من هذه الأمواج المتلاطمة من الابتلاءات و ارجعه الى قومه ليجتمع به الشمل ، و تتوحد به الفرقة ، و ينتشر به الايمان .

١.٢ المطلب الأول : التعريف اللغوي للاعتصام.

(عصم) العين والصاد والميم اصل واحد صحيح يدل على امساك ومنع وملازمة،والمعنى في ذلك معنى واحد. والعصمة:ان يعصم الله تعالى عبده من سوءيقع فيه،واعتصم العبد بالله تعالى اذا امتنع واستعصم :التجأ،وتقول العرب اعصمت اعصمت فلانأي هيأت شيئا يعتصم به أي يلتجئ ويتمسك به، وعصمة الطعام :منعه من الجوع [٣] واعتصم بالله أي: امتنع بلطفه من المعصية [٤] وعصمة الله عن المكروه، أي منعه وحفظه ووقاه وعصم سمعته [٥] قال تعالى{وَاللهُ يَعصِمُكَ مِن الناس}[٦]،وعصمه يعصمه عصما:منَعَه ووقاه[٧] قال تعالى{ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ}[٨] ومن خلال التعاريف اللغوية للاعتصام نجدإن بمعنى التمسك والحبل، والمنْعة، وكلا ترجع معانيها إلى التمسك بالشيء والانتماء به.

٢.٢ المطلب الثاني : التعريف الاصطلاحي للاعتصام.

العصمة :ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن بها[٩]،والعصمة هي لطف يفعله الله تعالى بالمكلف بحيث تمنع منه المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليها، والاعتصام بالله: هو التمسك بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسلم لأمر الله [١٠].وكل

---

[١] سورة الأنبياء الاية : ٨٧ .

[٢] سورة الأنبياء الاية : ٨٨ .

[٣] ينظر:مقاييس اللغة، أبي الحسن أَحمدبن فارس، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، ٣٣١/٤.

[٤] ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (ت٦٦٦ هـ)، دار الرسالة الكويت، ٤٣٧

[٥] ينظر: اللغة العربية المعاصرة الاستاذ الدكتور احمد مختار عمر، ط١/القاهرة (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)،١٥٠٩/١

[٦] سورة المائدة الاية : ٦٧ .

[٧] ينظر: لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد احمد حسب وهاشم محمد الشاذلي، ط١، السنة١٤٤١هـ، دار الصادر. بيروت، ١٢/ ٤٠٣

[٨] سورة هود، الاية:٤٢.

[٩] ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، الشيخ عبد الرؤف بن المناوي (ت١٠٣١هـ)، عالم الكتب عبد الخالق ثروت–القاهرة، ط١(١٤١٠هـ_١٩٩٠م)، ٢٤/١

[١٠] ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة ط١(١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م)، ٧٠/٧.

هذه التعاريف تصب في مجرى واحد هو التمسك بكتاب الله تعالى وعهده، كما جمعها بن كثير عند قوله تعالى {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ} [١].قيل (بحبل الله) أي: بعهد الله، وقيل: بحبل من الله يعني: القرآن وصراطه المستقيم[٢] ونجد الإمام الشوكاني :يجمع بالتعريف للاعتصام بين المعنى الاصطلاحي والمعنى اللغوي يقول: الاعتصام بالله التمسك بدينه، وطاعته، وقيل بالقرآن، يقال اعتصم به، واستعصم، وتمسك، واستمسك اذا امتنع به من غيره، وعصمة الطعام :منع الجوع [٣]

٣.٢ المطلب الثالث : الاعتصام بحبل الله سبيل لوحدة الامة

ان نعم الله عظيمة، وأعظم هذه النعم بعد نعمة الإيمان والهداية هي نعمة الأخوة في الله التي جعلت أبناء الأمة الإسلامية تربطهم علاقة متينة راسخة هي علاقة الدين التي هي اقوى من علاقة النسب، وهي العلاقة التي جعلت المسلمين جميعا كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد والحمى رغم اختلاف الوانهم وأجناسهم ولغاتهم يوحدهم الاعتصام بحبل الله والانضواء تحت راية لا اله الا الله محمد رسول الله. ولقد ذكر الله سبحانه رسوله(صلى الله عليه وسلم) وأصحابه بهذه النعمة العظيمة بعد ان كانوا قبل الإسلام متقاتلين متحاربين لأقل الأسباب فقال: { وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [٤] امرهم الله سبحانه ان يذكروا نعمته عليهم إذ كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا اصبحوا بسبب هذه النعمة متحابين [٥] "فالأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده هنا يذكرهم بهذه النعمة، يذكر كيف كانوا في الجاهلية اعداء، وما كان اعدى من الاوس والخزرج في المدينة أحدوهما الحيّان الغربيان في يثرب، يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العداوة وينفخون في نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعا، ومن ثم نجد يهود مجالها الصالح الذي لا تعمل الافيه، و لاتعيش الامعه فألف الله بين قلوب الحيين من العرب بالإسلام، وما كان الا الإسلام وحده يجمع بين هذه القلوب المتنافرة وما كان إلا حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله اخوانا"[٦].

وكان جمعيهم قبل الإسلام في عداوة وحروب فالأوس والخزرج كانت بينهم حروب دامت مائة وعشرين سنة قبل الهجرة ومنها كان يوم بعاث، ولقد حاولت حكماؤهم .

و اولو الرأي منهم التأليف بينهم، وإصلاح ذات بينهم بأفانين الدعاية من خطابة وجاه وشعر فلم يصلوا إلى ما ابتغوا حتى ألف الله بين قلوبهم بالإسلام فكان الاعتصام بدين الله والالتفاف حول نبيهم سبباً في وحدتهم و اخوتهم .[٧]

ومن الآيات الدالة على عظيم نعمة الله في تأليف قلوب المسلمين ووحدتهم بسبب اعتصامهم بدينهم قوله تعالى { لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ}[٨]

أي جمعها على الإيمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك بعد إن كانت بين الانصار حروب طاحنة في الجاهلية فقطع الله ذلك بينهم بنور الإيمان [٩]

أخرج الإمام البخاري في صحيحه ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خطب الأنصار في شأن غنائم حنين فقال لهم : " يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي " [١٠] ان هذه العقيدة عجيبة فعلاً ، انها حين تخالط القلوب تستحيل الى مزاج من الحب و

---

[١] سورة آل عمران، الاية:١٠٣.

[٢] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القريشي البصري ثم الدمشقي(ت:٧٧٤هـ)،المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر :دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ_١٩٩٩م.

[٣] ينظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني(ت:١٢٥٠هـ)،الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب _دمشق، بيروت،تحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة ، الطبعة :الاولى_١٤١٤هـ،٤/٢ .

[٤] سورة آل عمران، الآية ١٠٣

[٥] ينظر: فتح القدير، الشوكاني، ٣٦٧/١

[٦] في ظلال القرآن، سيد قطب،إبراهيم حسين الشاربي، ط٣٤ ، دار الشروق ، القاهرة : ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م ،الطبعة : السابعة عشر ، ٤٤٢/١

[٧] ينظر: تفسير التحرير و التنوير ،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر من عاشور ، (ت١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس (١٩٨٤م) ، ٤ / ٣٣-٣٤

[٨] سورة الانفال : الآيتان ٦٢ ، ٦٣

[٩] ينظر : تفسير القرآن العظيم ، أبن كثير ، ٢ / ٣٢٣

[١٠] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه و سلم) و سننه و أيامه ، صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر : دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي) ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢ هـ .

الالفة و مودات القلوب فإذا نظرة العين ، و لمسة اليد ، و خفقة القلب ترانيم من التعارف و التعاطف و الولاء و التناظر ، و السماحة و الهوادة ، لا يعرف سرها الا من الف بين هذه القلوب و لا تعرف مذاقها الا هذه القلوب [١] .

٤.٢ المطلب الرابع : ثمرات الاعتصام بحبل الله وويلات الفرقة و الاختلاف

الاعتصام بحبل الله وصية الله سبحانه وتعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) واتباعه الذين آمنوا معه، والذين منَّ عليهم بنعمة الأخوة والهداية وآمنهم بعد طوف ويسر لهم إقامة دولة لهم على ارض المدينة المنورة بعد ان كانوا قله مستضعفين، والتحذير من الفرقة والاختلاف وصية الله أيضاً لرسوله (صلى الله عليه وسلم) و لأمته حتى لا يبدوا قوتهم ويضعفوا جمعهم ويصبحوا لقمة سهلة وصيداً ثميناً يتكالب عليهم الاعداء من كل حرب وصوب. فكانت هذه الوصايا الثمينة من الله للمسلمين الاوائل ولأمة الإسلام في محل زمان الى قيام الساعة .

و ويلات الفرقة والاختلاف وآمنهم بعد خوف وصية الله حتى لا يبددوا قوتهم في كل زمان تكتب

أولاً الامتثال لأمر الله :

فاعتصام الامة بجيل الله والالتفاف حول نبيهم فيه امتثال لامر الله وسمع وطاعة له والرضا بما ارتضاه ، فالله سبحانه وتعالى لا يأمر الا بخير ولا يحذر إلا من شرحين يقول: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ }[٢]

أي تعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدينه الذي أمركم به، وعهده الذي عهده. اليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم الأمر الله فقد كره الله لكم الفرقة وحذركموها ونهاكم عنها ورضي لكم السمع والطاعة والألفة و الجماعة، فارضوا لأنفسكم ما رضي الله لكم [٣]. ويكون بذلك قد أطاع الله تعالى وامتثل لأوامره ويأمن من الانزلاق عن طريق الحق، فكان المراد من الحبل ههنا كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين [٤] .ومن هنا يتبين لنا أن طاعة الله تعالى والامتثال لامره هي ثمرة من ثمرات الاعتصام بحبل الله

ثانياً : الهداية الى صراط الله تعالى المستقيم

فالهداية إلى الحق ثمرة من ثمرات الاعتصام بحبل الله كما قال سبحانه : { وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }.[٥]

فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغاية والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد و حصول المراد[٦].

ويقول الامام القرطبي : (ومن يعتصم بالله أي يمتنع ويتمسك بدينه وطاعته فقد هدي أي وقت وأرشد إلى صراط المستقيم)[٧].

ويقول الشوكاني : (أرشدهم إلى الله الاعتصام به ليحصل لهم بذلك الهداية إلى الصراط المستقيم الذي هو الاسلام)[٨].

ويقول محمد الطاهر بن عاشور : سياق الآية مؤذن بأنها جرت على حادثة حدثت وان نزولها سبباً ، وسبب نزولها أن الأوس والخزرج كانوا في الجاهلية قد تخاذلوا وتحاربوا حتى تفانوا وكانت بينهم حروب كان آخرها يوم بعاث. التي انتهت قبل الهجرة بثلاث سنين ، فلما اجتمعوا على الإسلام زالت تلك الأحقاد من بينهم واصبحوا عدة الإسلام فساء ذلك يهود يثرب ، فقام شاس بن قيس اليهودي وهو شيخ قديم منهم بأرسال شاب يهودي جلس إلى الأوس والخزرج بذكرهم حروب بعاث، فكادوا أن يقتتلوا , و نادى كل فريق بالأوس ! يا للخزرج ، واخذوا السلاح فجاء النبي (صلى الله عليه وسلم) فدخل بينهم و قال : اتدكون الجاهلية وأنا بين أظهركم ثم قرأ عليهم : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [٩]

---

[١] ينظر : في ظلال القران ، ١٥٤٨/٣

[٢] سورة آل عمران ، الاية : ١٠٣

[٣] ينظر :جامع البيان ، الطبري، ٤/ ٣١_٣٣

[٤] مفاتيح الغيب، التفسير الكبير ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت :٦٠٦هـ) الناشر : دار احياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة : الثالث : ١٤٢٠هـ ١٧٨/٨ .

[٥] سورة آل عمران ، الآية: ١٠١ .

[٦] تفسير القرآن العظيم : الحافظ ابن كثير ، ٣٨٧/١ .

[٧] الجامع لاحكام القران ، أبو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) تحقيق : احمد البردوني و ابرهيم اطفيش ، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م .

[٨] فتح القدير ، ٣٦٧/١ .

[٩] سورة ال عمران ، الايتان : ١٠٠–١٠١ .

ثالثاً : الدخول في رحمة الله تعالى ونيل فضله وهدايته :

وهي ثمرات الاعتصام بالله كما يقول سبحانه : { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا } [١] والمراد آمنوا بالله في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه واسمائه واعتصموا به في أن يثبتهم على الايمان ، ويصونهم عن نزغ الشيطان، ويدخلهم في رحمة منه وفضل، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً فوعد الله المعتصمين به بأمور ثلاثة : الرحمة والفضل والهداية، قال ابن عباس رضي الله عنهما الرحمة الجنة، والفضل ما يتفصل به عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً يريد دينا مستقيماً [٢]. ويتحدث سيد قطب عن علاقة التلازم والتوافق بين الايمان والاعتصام فيقول: والاعتصام بالله ثمرة ملازمة للإيمان به، متى اصبح الإيمان ، ومتى عرفت النفس حقيقة الله، وعرفت حقيقة عبودية الكل له ، فلا يبقى أمامها إلا أن تعتصم بالله وحده، وهو صاحب السلطان والقدرة وحده ، فهؤلاء يدخلهم الله في رحمة منه وفضل رحمة في هذه الحياة الدينا قبل الحياة الاخرى، وفضل في هذه العاجلة قبل الفضل في الآجلة فالإيمان هو الواحة الندية التي تجد فيها الروح الظلال من هاجرة الضلال في نيه الحيرة والتعلق والشرود كما انه هو القاعدة التي تقوم عليها حياة المجتمع ونظامه، فالذين آمنوا بالله واعتصموا به في رحمة من الله وفضل في حياتهم الحاضرة وفي حياتهم الآجلة وكلمة إليه في قوله : { وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا } [٣] اذ ترسم المؤمنين ويد الله تنقل خطاهم في الطريق إلى الله على استقامة، وتقربهم إليه خطوة خطوة، وهي عبارة يجد مدلولها في نفسه من يؤمن بالله على بصيرة فيعتصم به على ثقة حيث يحس في كل لحظة انه يهتدي ، وتتضح امامه الطريق، ويقترب فعلاً من الله كأنما هو يخطو إليه في طريق مستقيم[٤].

٣. ويلات الفرقة والاختلاف

نهى الله سبحانه وتعالى امة الاسلام عن الفرقة والاختلاف وحذر من الاكتواء بويلاتها مذكراً بما حصل للأمم السابقة من جراء فرقتهم ومحذراً من الويلات التي تنجم عن ذلك والتي من اخطرها :

أولا : التشبه بالكافرين من ابناء الامم الماضية :

كما قال سبحانه {وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ }[٥] و ينهى الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين في افتراقهم واختلافهم و تركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم [٦] قال ابن عاشور في قوله تعالى: { وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ}[٧]

معطوف على قوله { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ }[٨] وفي هذا تمثيل لحال التفرق في ابشع صوره المعروفة لديهم عن مطالعة احوال اليهود وفيه اشارة إلى أن ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقضي إلى التفرق والاختلاف إذ تكثر النزاعات والنزغات وتنشق الامة بذلك انشقاقاً شديداً واريد بالذين تفرقوا واختلفوا في أصول الدين من اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم من الدلائل المانعة من الاختلاف والافتراق ، وقدم الافتراق على الاختلاف للإيذان بان الاختلاف علة التفرق وهذا من المفادات الحاصلة من ترتيب الكلام و الكلام وذكر الاشياء مع مقارناتها وفيه إشارة بان الاختلاف المذموم هو الذي يؤدي إلى الافتراق، وهو الاختلاف في أصول الدين الذين يفضي إلى تكفير بعض الامة بعضاً و تفسيقه دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الامة في الاقطار والاعصار وهو المعبر عنه بالاجتهاد [٩].

---

[١] سورة النساء ، الآية: ١٧٥

[٢] ينظر : مفاتيح الغيب ، الرازي ، ١٢٢/١١

[٣] سورة النساء ، الاية : ١٧٥

[٤] ينظر : في ظلال القرآن ، ٨٢٣/٢

[٥] سورة آل عمران: الآية ١٠٥

[٦] ينظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ٣٩٠/١

[٧] سورة ال عمران ، الاية : ١٠٥

[٨] سورة ال عمران ، الاية : ١٠٤

[٩] ينظر : التحرير و التنوير ، ٤٢/٤-٤٣

ثانياً : الفشل و ذهاب القوة

كما بين الله سبحانه وتعالى وهو ينهي عن الفرقة والتنازع والاختلاف تعالى إن ما لذلك كله هو فشل الامة وضعفها وهو انها على اعدائها وذلك في قوله: {وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ} [١] . المعنى ولا تختلفوا فإن التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن ، وقوله تعالى : }وتذهب ريحكم{ يعني قوتكم ، فالناس يتنازعون حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وحين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الاراء والأفكار ، فإن استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيس للنزاع مها اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة – فليس الذي يثير النزاع بينهم هو اختلاف وجهات النظر ، انما الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق، وانما هو وضع الذات في كفة والحق في كفة وترجيح كفة الحق ، عندئذ يزول التنازع ويتلاشى الخلاف ويحل الوفاق والوئام مكان النزاع والصدام فيبقى للدين هيبته والاسلام قدسيته وللوحده مكانتها [٢] والنهي عن التنازع يقتضي الامر بالتفاهم والتشاور ومراجعه بعضهم بعضا حتى يصدر عن راي واحد فان تنازعوا في شيء رجعوا الى امرائهم وردوا امرهم اليهم ولقد كان التنازع مقضيا الى الفشل لانه يثير التغاضب ويزيل التعاون من القوم ويحدث فيهم ان يتربص بعضهم ببعض الدوائر ، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضا وتوقع عدم الغاء النصير عند مأزق القتال فيصرف الامة عن التوجه الى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم ويصرف الجيش عن الاقدام على اعدائهم فيتمكن منهم العدو وكما قال سبحانه { حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم } [٣] وهذا الفشل والضعف ادى الى تفكك الامه الاسلاميه وضعفها وهوائها اعدائها فاستجيب الديار فاستبيحت الديار وانتهت الاعراب وخدشت الكرامه ودنست المقدسات، وعزت النخوه وقل النصير ولا حول ولا قوه الا بالله.

ثالثا الدخول في دائره الشرك :

حيث يبين الله سبحانه ان الفرقة و الاختلاف هي صفة من صفات المشركين و ينهي و يحذر أبناء الامة من مغبة الوقوع في ذلك فيقول : { مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[٤] فالله عز وجل هو الذي يصف المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا فالشرك الوان وانماط كثيره منهم من يشركون الجن ، ومنهم من يشركون الملائكة ، ومنهم من يشركون الملوك والسلاطين ، ولا تنتهي انماط الشرك واشكاله، وكل حزب منهم بما لديهم فرحون ، بينما الدين القيم واحد لا يتبدل و لا يتفرق ولا يقود اهله الا الى الله الواحد.

٤ . المبحث الثاني : الامر بالاعتصام بكتاب الله تعالى و هدايته للناس

إن الاعتصام بكتاب الله تعالى تعظيمه، وإجلاله، وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، بل على الدوام عند الاقتدار والسعة، ان لم يكن بالتلاوة والتدبر فبالعمل والحياة، وحفظه في الصدور وتعظيمه في السطور، والعمل بهداه والرقية والاستشفاء به واتخاذه قائدا للهدى والنور.

١.٤ المطلب الأول : الامر بالاعتصام بكتاب الله تعالى

قال تعالى :

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [٥]

أولاً : تحليل الكلمات

{ وَاعْتَصِمُوا }

عصم : العين والصاد والميم اصل واحد صحيح يدل على امساك ومنع وملازمة والمعنى في ذلك معنى واحد[٦] ،واعتصم بالله اي : امتنع بلطف عن المعصية [٧] ، واعتصموا بالله لجأوا اليه واستمسكوا به [٨].

---

[١] سورة الانفال ، الآية: ٤٦ .

[٢] ينظر : في ظلال القرآن ، ٣ / ١٥٢٨-١٥٢٩ .

[٣] ينظر : في ظلال القرآن ، ٥/ ٢٧٦٨ .

[٤] سورة الروم ، الاية : ٣٢

[٥] سورة ال عمران ، الاية : ١٠٣

[٦] مقاييس اللغة ، أبن فارس ٣٣١/٤ .

[٧] مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر الرازي ، ٤٣٧ .

[٨] الفاظ القرآن الكريم ، الأستاذ عبدالسلام محمد هارون ، ٧٦٨/١ .

ثانياً : القضايا البلاغية

{واعتصموا بِحبلِ الله } استعاره تصريحيه [١] شبه القران بالحبل ، واستعير اسم المشبه وهو الحبل للمشبه وهو القران ، بجامع النجاة في كل منهما[٢]

ثالثا : المعنى العام

{واعتصموا بِحبلِ الله جميعاً } اي : تمسكوا بحبل الله هو العهد او الدين او القران او الاسلام ، (شفا حفرة) قاصده وهو القرب من النار اي : ليس وبينكم وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا كفارا فأنقذكم منها بالإيمان منها [٣] حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين من اطاعه الكافرين واغوائهم واظلالهم.

بعد ان اوبخ اهل الكتاب على كفرهم وصدهم عن سبيل الله وذلك من اجل تماسك الشخصية الاسلامية والحفاظ على تميزها واستقلالها ، بعد ان انحرف اهل الكتاب عن صراط الله المستقيم [٤] {ولا تُفَرّقوا} ، اي : لا تتفرقوا ايها المؤمنين ايها المؤمنون عن دين الله وعهده الذي عهد اليكم في كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعه رسول الله على طاعه رسوله صلى الله عليه واله وسلم قوسين والانتهاء الى امره [٥] ، وهو التاكيد لمضمون اعتصموا جميعا والتذكير بنعمه الله طريق من طريق مواعظ الرسل عليهم الصلاه والسلام قال الله تعالى حكايه عن هود { وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ } [٦] ، وهذا التذكير خاص بمن اسلم من المسلمين بعد ان كان في الجاهليه ، لان الايه خطاب للصحابه ولكن المنه به مستمره على سائر المسلمين والخطاب به للمؤمنين وهم يومئذ المهاجرين والانصار وافراد قليلون من يعظم قبائل القريبه ، وكان جميعهم قبل الاسلام في عداوه وحروب ، ولقد حاولت حكماء وأولوا الراي التاليف بينهم واصلاح ذات بينهم بافانين الدعايه من خطابه وجاه وشعر فلم يصلوا الى ما بلغوا حتى الف الله سبحانه وتعالى بين قلوبهم بالاسلام فصاروا بذلك التاليف في منزله الاخوان [٧]

قال تعالى : { وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ } [٨] . اي : انتم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم ، لان جهنم مشبه بالحفره التي فيها النار فجعل استحقاقهم للنار لكفركم كالاشراف منها على النار والمصير منها الحاف الى حفرتها ، فيبين الله تعالى انه انقذهم من هذه الحفره وقد قربوا من الوقوع فيها [٩] .

وبعد هذا ذكرت الايه نعمه اخرى وهي نعمه التعليم والارشاد وايضاح الحقائق حتى تكمل عقولهم ويتبين ما فيه صلاحهم قال تعالى : { كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ } [١٠] والبيان هنا بمعنى الايضاح والايات يجوز المراد به النعم ، ويجوز ان يراد بها ايات القران الكريم فانها غايه في الاوصاح عن المقاصد وابلاغ المعاني الى الاذهان[١١] .

وختمت الايه بذكر نعمه عظيمه الا وهي نعمه الهدايه والارشاد ، { لتكونوا على رجاء الهدايه او لتهتدوا به الى الصواب وما ينال به الثواب } [١٢] .

---

[١] الاستعاره التصريحيه : وتقسم الى عناديه و وفاقيه فالعناديه هي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ، و قد تكون تلميحيه او تهكميه . والوفاقيه هي التي يمكن اجتماع طرفها في شيء واحد لعدم التنافي جواهر البلاغة احمد بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمي(ت ١٣٦٢ ه) ، ضبط وتحقيق وتوثيق يوسف الصميلي المكتبة العصريه ، بيروت ، ٢٦٨

[٢] الاستعاره التمثيليه وهي تركيب استعمل غير فيما وضع له العلاقه المشابهه مع قرنيه مانعه من اراده معناه الوضعي بحيث يكون كل المشبه والمشبه به هيأة من متعدد وذلك بان تشبيه احدى صورتين منتزعتين من امرين ، او أمور أخرى ثم تدخل المشبه بها مبالغة في التشبيه . المصدر السابق ، ٣٣٣

[٣] التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق – الطبعة : الثانية ، ١٤١٨هـ ، ٢٥/٤

[٤] التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، ٢٦/٤ .

[٥] جامع البيان ، الطبري ، ٢٩٨/٧ .

[٦] سورة الأعراف ، الاية : ٦٩ .

[٧] ينظر : تفسير التحرير والتنوير ، ٤ / ٣٣.

[٨] سورة ال عمران ، الاية : ١٠٣

[٩] ينظر : التفسير الكبير ، الرازي ، ٣٠٨/٨ .

[١٠] ينظر : تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ٤ / ٣٦ .

[١١] سورة ال عمران ، الاية : ١٠٣

[١٢] التفسير النسفي (مدارك التنزيل و حقائق التأويل) ، أبو البركات عبدالله بن احمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت : ٧١٠ه) حققه و خرج احاديثه : يوسف علي بديوي راجعه و قدم له : محيي الدين الناشر : دار الكلم الطيب ، بيروت ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ٢٦١/١

رابعا :ما يستفاد من النص

١- الاعتصام والتمسك بدين الله (عز وجل) وطاعته ، والالتفات حول احكام الله سبحانه وتعالى حلالها وحرامها واجتماع المسلمين على وحدة الهدف والغاية من اجل صون الحرمات والبلاد من عدوان المعتدين فانه لم يتوفر لامة مقومات تجمع بين شعوبها وافرادها مثلما توفر للامة الإسلامية .

٢- لا تفعلوا ما يكون عنها التفريق ويزول معه الاجتماع ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا[١]

٢.٤ المطلب الثاني : هداية الله للمعتصم

قال الله تعالى:

(وكيف تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِي إلى صراط مستقيم)[٢]

اولاً : سبب النزول

ورد في سبب نزول هذه الآيات أن شاسا بن قيس اليهودي وكان شيخاً قد غبر في الجاهلية، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم من على نفر من اصحاب رسول الله من الأوس والخرج في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ومن رأى من جماعاتهم والفتهم وإصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة .. فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال : أعمد اليهم فأجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان فيه وأنشد بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الإشعار وكان يوم بعاث يوما أقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر للأوس على الخزرج ففعل الشاب وتكلم وثارت ثائرة الحيين وتفاولا حتى اصطفا للقتال فنزلت هذه الآيات فخرج رسول الله (ﷺ) اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : يا معشر المسلمين أتدعون الجاهليه وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، فقرأ عليهم هذه الآيات ، فلما سمعوا صوته أنصتوا ، فلما فرغ القوا السلاح ، وعانقوا بعضهم بعضاً ، ثم إنصرفوا مع رسول الله (ﷺ) سامعين مطيعين [٣] .

ثانياً : تحليل الكلمات

(هُدِيَ)

الهداية الدلالة والارشاد :يقال هدى فلاناً فلاناً : أي : ارشده ودله ، و هدى فلاناً فلاناً الطريق :أي:عرفهُ و بينهُ له،و اهتدى يهتدي و يهتدي، أي : استرشد أو طلب الهداية أو قام عليها فهو المهتد والهادي يعنى الراشد إلى الخير[٤] وقد ذكر المفسرون أن الدى جاء في القرآن الكريم على سبعة عشر وجها منها : الثبات والبيان والإرشاد ودين الإسلام والقرآن والتوحيد[٥]. وغير ذلك ، ومنه قوله تعالى : { عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ }[٦]، والمعنى المراد في النص هو الأرشاد

ثالثا: القضايا البلاغية

في قوله تعالى: }ومَن يَعتَصِمُ بِاللهِ{ ، فالاعتصام هنا استعارة للتمسك أي: من يتمسك فلا يخشى عليه من الضلال، وفي هذا إشارة إلى التمسك بكتاب الله ودينه لسائر المسلمين الذين لم يشهدوا حياة رسول الله (ﷺ) [٧]

رابعا: المعنى العام

جاءت هذه الآيات المباركات في النهي عن إطاعة أهل الكتاب، والاعتصام بالله تعالى وحده الله عمدة الهداية إلى الصراط المستقيم وعليه مرار السعادة الدنيوية والأخروية

اذا ما اعتصم المسلم بالله سبحانه وتعالى وبحبله المتين .

---

[١] التفسير النسفي ، مدارك التنزيل ، ٢٠٨/١

[٢] سورة آل عمران الآية : ١٠١

[٣] ينظر : أسباب نزول القرآن لأبو الحسن احمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، المحقق عاصم أبو الحسن الحمدان مدار الإصلاح – الدمام ط٢ (١٤١٢ هـ ١٩٩٢م)، ١١٦ – ١١٧ .

[٤] الفاظ القرآن الكريم ، عبد السلام محمد هارون، ١٦ أبريل ١٩٨٨، ١١٤٣

[٥] ينظراصلاح الوجوه والنظائر الحسين بن محمد الدامغي، ٤٠٥-٤٠٦ .

[٦] سورة القصص، الآية : ٢٢

[٧] ينظر، التحرير والتنوير، أبن عاشور، ٢٩/٤ .

مبيناً لهم بأن مثل هؤلاء لا ينبغى أن يطاعوا ، ولا أن يسمع لهم قول ، فهم دعاة الفتنة واملوا حطبها ثم أمر هم بعد ذلك بتقواه والتمسك بحبله المتين، ثم يتذكر نعملة اليه وفعل الإنسان أما عن رهبة وأما عن رغبة، والرهبة مقدمة على الرغبة[١].

قال تعالى { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٢] أي: ومن أين يتطرق اليكم الكفر والحال أن القران تلى على لسان النبي (ﷺ) غضاً طريا ، وبين أضهركم رسول الله (ﷺ) ينبهكم وبعضا ويبين ما أنزل اليكم ، ولكم في سنته خير أسوة تغذي إيمانكم ، وتنير قلوبكم فلا ينبغي لمثلكم أن تلتفتوا إلى قولهم ، بل الواجب عليكم أن ترجعوا عند كل شبهة تسمعونها من هؤلاء اليهود إلى الرسول (ﷺ) حتى يكشف عنها ويزيل ما علق بقلوبكم منها [٣] .

فالهدف الذي يسعى الله هذا الفريق إذا هو تكفيرنا وردتنا ولعل واقع عصرنا هو التبصير الواضح لهذا المعنى إن استطاع الكثير من أهل الكتاب أن يصلوا إلى أحد القاعة أبناء المسلمين من خلال أحزاب أو مؤسسات، فكان من آثار ذلك هذه الردة الكبيرة التي نراها لهذا يعجب الله سبحانه وتعالى من أن تكفر وقد اجتمع لنا ما لا يحصل معه الكفر وهو هذا الكتاب المعجز وهذا الرسول (ﷺ) التي تضافرت المعجزات الخصائص والبشائر والآثار والثمرات على أنه رسول الله حقا لم يبين أن الهداية إلى الصراط المستقيم مراراً على الاعتصام بالله ، والاعتصام بالله يقضي اعتصاما بكتابه ورسوله، وهذا الاعتصام هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية والوسيلة إلى الرشاد وطريق السداد وحصول المراد [٤]. وبعد أن عشنا هذه الجولة القرآنية يتضح لنا أن الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى والاحتماء بحماه ، والاعتصام به هو عمدة الهداية إلى الصراط المستقيم.

خامسا: ما يستفاد من النص

١- أن الاعتصام بالله عز وجل والتمسك بأسبابه هو الطريق الموصل الى جنات النعيم.

٢- الاعتصام والتمسك بالقرآن بدين الله تعالى وطاعته ، والالتفاف الموحد حول أحكام الله حلالها وحرامها ، واجتماع المسلمين على وحدة الهدف والغاية من أجل صون

الحرمات والبلاد من عدوان المعتدين فإنه لم يتوفر لأمة مقومات تجمع بين شعوبها وأفرادها مثل ما توفر لأمة الإسلام.

٣- الحفاظ على الشخصية الإسلامية وتميزها ، ورفض تبعتها لغير المسلمين، والتحذير من الإصغاء لمشورتهم كيلا تؤدي الى الضرر والشر والفساد.

٤- تحكيم القرآن والسنة فيما قد يقع فيه المسلمون من نزاع أو اختلاف في الرأي، كما قال تعالى : { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [٥].

٥- ليس الاختلاف مذموماً إذا كان في مجال مسائل الاجتهاد واستخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع، وإنما الخلاف المذموم هو في إتباع الأهواء والأغراض المختلفة، وما يؤدي إليه من تقاطع وتدابر وتقاتل[٦]

٥. الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، و الصلاة و السلام على خاتم النبوات و الرسالات و على آله و صحبه اجمعين ، اما بعد:

فالحمد لله الذي اعانني على كتابة هذا البحث و يسر لي الوصول الى خاتمته ، فله الحمد في الأولى و الاخرة حمداً يليق بجلال وجهه و عظيم سلطانه ، و له الشكر في الأولى و الاخرة شكراً يوافي نعمه و ثناءً كما اثنى على نفسه . خرجت بهذه النتائج لتلك الجولة العلمية المباركة و هي :

١- إن الاعتصام بالله سبحانه وتعالى والتمسك كتابه العزيز هو سبب في الهداية والعصمة من الفتن و الاغواء .

٢- إن الاعتصام والتمسك بدين الله سبحانه وتعالى وطاعته ، والالتفاف حول أحكام الله بوحدة الهدف و والغاية من أجل صون العباد والبلاد .

٣- إن الاعتصام بالله تعالى وبكتابه العزيز هو سفينة النجاة للمؤمنين والملاذ الأول والآخر للمسلمين فيجب عليهم جميعاً أن يتخلقوا بهذا الخلق العظيم لأنه زاد الطريق للسائرين الى الله رب العالمين .

٤- الحفاظ على الشخصية الإسلامية وتميزها ورفض تبعيتها لغير المسلمين والتحذير من الإصغاء ولمشورة أهل الكتاب والتفكير العميق في ارائهم كى لا يؤدى ذلك إلى الضرر والفساد، او الفرقة والخلاف والانقسام وهذا يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله.

٥- إن الأمة المجاهدة في سبيل الله تعالى لا تكون أمة ضعيفة تركن الى غيرها من الكفار والمنافقين بل

---

[١] ينظر تفسير المراغي أحمد بن مصطفي المراغي ، (ت ١٣٧١ هـ) شركة مكتبة، ط١ ، (١٣٦٥هـ) ، ١٥/٤ .

[٢] سورة ال عمران ، الاية : ١٠١ .

[٣] المصدر السابق ، ١٦/٤ .

[٤] التفسير المنير ، وهبه الزحيلي ٢٩/٤-٣٠

[٥] سورة الشورى، الآية: ١٠

[٦] ينظر : الأساس في التفسير ، سعيد حوى (ت١٤٠٩هـ) ، دار السلام للطباعة – القاهرة الطبعة السادسة .، ٨٤٢/٢

تعتصم بكتاب ربها سبحانه وتعالى ودينه وتتمسك بهدي نبيها محمد)وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد (ﷺ).
و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خير المرسلين محمد (ﷺ)

Conflicts Of Interest

The author declares no conflict of interest in relation to the research presented in the paper.

Funding

No grant or sponsorship is mentioned in the paper, suggesting that the author received no financial assistance.

Acknowledgment

The author extends gratitude to the institution for fostering a collaborative atmosphere that enhanced the quality of this research.

References

[1] The Holy Qur'an.
[2] al-Wāḥidī, A. al-Ḥ. b. A. (n.d.). *Asbāb al-nuzūl* (2nd ed.). Dammam, Saudi Arabia: Dār al-Iṣlāḥ. Retrieved from shamela
[3] al-Qurṭubī, M. b.Farḥ al-Anṣārī al-Khazrajī. (1964). *Al-Jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān* (A. al-Bardunī & I. Aṭfayyish, Eds.; 2nd ed.). Cairo, Egypt: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah. (1384 AH). Retrieved from shamela
[4] Ḥawwā, S. (n.d.). *Al-asās fī al-tafsīr* (6th ed.). Cairo, Egypt: Dār al-Salām li-l-Ṭibāʿah. Retrieved from shamela
[5] al-Hāshimī, A. b. I. b. Muṣṭafā. (n.d.). *Jawāhir al-balāghah*. Retrieved from Noor Books
[6] al-Dāmghānī, al-Ḥ. b. M. (n.d.). *Iṣlāḥ al-wujūh wa-l-naẓāʾir fī al-Qurʾān al-karīm* (ʿA. al-ʿAhl, Ed.; 2nd ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn. Retrieved from Internet Archive
[7] Ibn ʿĀshūr, M. al-Ṭ. (n.d.). *Al-taḥrīr wa al-tanwīr*. Retrieved from Noor Books
[8] Ibn Kathīr, I. b. ʿU. (1419 AH). *Tafsīr al-Qurʾān al-ʿaẓīm* (1st ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah. Retrieved from shamela
[9] al-Marāghī, A. b. Muṣṭafā. (1365 AH [≈1946 CE]). *Tafsīr al-Marāghī* (1st ed.). Retrieved from shamela
[10] al-Zuḥaylī, W. M. (2009). *Al-tafsīr al-munīr fī al-ʿaqīdah wa-l-sharīʿah wa-l-manhaj* (10th ed.). Damascus, Syria: Dār al-Fikr. (1430 AH). Retrieved from Noor Books
[11] al-Munāwī, ʿA. al-R. (1990). *Al-tawqīf ʿalā muhimmāt al-taʿārīf* (1st ed.). Cairo, Egypt: ʿĀlam al-Kutub; ʿAbd al-Khāliq Tharwat. (1410 AH). Retrieved from shamela
[12] al-Ṭabarī, M. b. J. (2000). *Jāmiʿ al-bayān ʿan taʾwīl āy al-Qurʾān* (1st ed.). Beirut, Lebanon: Al-Risālah Foundation. (1420 AH). Retrieved from quranpedia
[13] al-Bukhārī, M. b. I. (1422 AH). *Al-Jāmiʿ al-musnad al-ṣaḥīḥ al-mukhtaṣar (Ṣaḥīḥ al-Bukhārī)* (M. Z. b. Nāṣir al-Nāṣir, Ed.; 1st ed.). [Place not specified]: Dār Ṭawq al-Najāḥ. Retrieved from ketabonline
[14] Hārūn, ʿA. al-S. M. (1988, April 16). *Alfāẓ al-Qurʾān al-karīm*.
[15] al-Shawkānī, M. b. ʿA. (1998). *Fatḥ al-qadīr*. Damascus, Syria & Beirut, Lebanon: Dār Ibn Kathīr; Dār al-Kalim al-Ṭayyib. (1419 AH). Retrieved from shamela
[16] Quṭb, S. (n.d.). *Fī ẓilāl al-Qurʾān* (17th ed.). Cairo, Egypt & Beirut, Lebanon: Dār al-Shurūq. Retrieved from ketabonline
[17] Ibn Manẓūr, M. b. M. (n.d.). *Lisān al-ʿArab* (3rd ed.). Beirut, Lebanon: Dār Ṣādir. Retrieved from Internet Archive
[18] ʿUmar, A. M. (2008). *Al-lugha al-ʿarabiyyah al-muʿāṣirah* [Modern Arabic language]. (1429 AH). Retrieved from ketabpedia
[19] al-Rāzī, M. b. Abī Bakr b. ʿAbd al-Qādir. (n.d.). *Mukhtār al-ṣīḥāḥ*. Kuwait City, Kuwait: Dār al-Risālah. Retrieved from shamela
[20] al-Naṣafī, ʿA. b. A. b. Maḥmūd. (n.d.). *Madārik al-tanzīl*. Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿArabī. Retrieved from shamela
[21] Ibn al-Qayyim, M. b. Abī Bakr. (1996). *Madārij al-sālikīn*. Beirut, Lebanon: Dār al-Kitāb al-ʿArabī. (1416 AH). Retrieved from Noor Books
[22] Ibn Fāris, A. al-Ḥ. (1979). *Muʿjam maqāyīs al-lugha* (ʿA. al-S. M. Hārūn, Ed.). [Place not specified]: Dār al-Fikr. (1399 AH). Retrieved from Internet Archive
[23] al-Rāzī, F. al-D. (n.d.). *Mafātīḥ al-ghayb (al-Tafsīr al-kabīr)*. Beirut, Lebanon: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī. Retrieved from Noor Books